

رسول الله ﷺ: إنه قد صدقكم. فقوله (ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام)، من التكرير الحسن. وبعض الجهال يظنه تكريراً لفائدة فيه، فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء، وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام. وليس كذلك، والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر، أي: باق على الكفر، ولا مرتدأً أي: أني كفرت بعد إسلامي، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، أي: ولا إثارةً لجانب الكفار على جانب المسلمين، ... والذي يجوز أن هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمى من تلك القارة العظيمة، التي هي نفاق وكفر، فكرر المعنى في اعتذاره قصداً للتأكيد والتقرير لما ينفي عنه ما رمى به» (٥٠).

ونلاحظ في محاولة ابن الأثير إثبات الفارق في المعنى هنا، إتكاؤه على ما يعرف به (شبه الترادف) تقريباً، وذلك من خلال إرجاع الفارق إلى توجه المعنى في (وأنا كافر) إلى زمن سابق (قبل الإسلام)، ثم توجه في (ولا مرتدأً) إلى زمن لاحق (بعد الإسلام). كما نلاحظ اعتماده في تبرير استخدام هذا التكرار، على جانب مقامي (مقام الاعتذار).

كما يشير ابن الأثير في موضع آخر إلى ضرب آخر من ضروب التكرار المعجمي أو الترادف، وهو الانتقال من العام إلى الخاص، وهو انتقال يهدف - حسبما رأى ابن الأثير - إلى التركيز على المتنقل إليه وبيان أفضليته أو أهميته، يقول ابن الأثير: «ومما ينتظم بهذا السلك أنه إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام، كقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)*١، فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمراً بالمعروف؛ وذلك أن الخير أنواع كثيرة، من جملتها الأمر بالمعروف. فائدة التكرير هنا أنه ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على فضيلة، كقوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى)*٢، وكقوله تعالى: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ)*٣ وكقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا)*٤، فإن الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض عام والجبال خاص. وفائدته هنا أنها تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتقدير أهميتها» (٥١).

ونلاحظ هنا - أولاً - ما نبه إليه ابن الأثير من اندراج لفظة (المعروف) تحت لفظه (الخير)، ولفظتي (نخيل ورمان) تحت لفظة (فاكهة)، ولفظة (الجبال) تحت لفظة (الأرض). وهذا - فيما أرى - فكرة الاسم الشامل Superordinate. ونلاحظ - ثانياً - وهو الأهم - تجاوز هذا الضرب من الترادف مستوى الجملة في الشاهد الأول، حيث جاء الاسم الشامل (الخير) في نهاية الجملة الأولى، بينما جاء الاسم المدرج تحته (المعروف) في نهاية الجملة الثانية، ولو نظرنا من منظور ترادف (أو شبه ترادف) الجمل، لا المفردات فقط وهو ما